

حُرُونَا الْأَخْضَرِيَّة

المدينة ووطننا الأصغر

توفى منذ سنوات رجل ثرى من سكان مدينة جلاسجو فى اسكوتلانده . وقبل أن يوافيه الأجل كتب وصية أودعت أحد البنوك للعمل بها بعد وفاته . وهذه الوصية تنص على وقف مال يحفظ بهذا البنك ، وتؤدى فائدته التى تبلغ كل ثلاث سنوات ألف جنيه إلى أى شخص يكون قد خدم هذه المدينة أية خدمة سواء ببناء مبنى جميل فيها ، أو بزيادة الرفاهية للسكان ، أو بزيادة الوسائل الثقافية ، أو بإبراز المدينة فى عمل شريف يعود عليها بالفخر ويسجل لها مجدا فى التاريخ . وهذا المحسن الذى يقدر ما أوصى به إلى الآن بمبلغ ١٤ ألف جنيه لم يبيع باسمه فبقى مجهولا حتى اليوم .

وعبرتنا من هذا المثال أن نعرف بل نحس هذه الوطنية للمدينة ، فان هذا الرجل عاش فى مدينة جلاسجو فأحبها وامترجت عواطفه يمجدها وتاريخها فشاء ألا يموت قبل أن يرضى ضميره بخدمتها وزيادة رفاهيتها وجمالها ، ويستطيع أن تخيل حياة هذا الرجل وهو يعيش ليمارس عمله فى جلاسجو ، فان عاطفة الولاء لمدينته كانت يقظة متنبهة طيلة حياته فيها . فكان يشترك فى كل نشاط يتصل بتاريخ هذه المدينة أو صيانتها أو تجميلها أو رنايتها . فهذا حتى يعيش فيه الفقراء وتكثر فيه المنازل المزدهمة البالية المتهدمة ، فهو يسعى لإحيائه بإيجاد المنزهات فيه وتأليف شركات البناء لترميم منازلهم وتجديدها ، وهذا حتى آخر قد حرم من مكتبة عامة بالبحران ، فهو يسعى لإيجادها بالتبرعات العامة ، وهذا طريق يحتاج إلى التعيين فهو يحمل أعضاء المجلس البلدى على العناية به وهلم جرا .

إننا فى مصر نحس الوطنية المصرية والولاء للوطن الأكبر . ولكننا قلما نذكر هذا الوطن الأصغر أى المدينة . لذلك نعيش ونحن بعيدون عن الروح الاجتماعى للمدينة . فإذا بنينا منزلا لم نبال النسق العام فى الشارع . ولذلك تنشأ المنازل وهى مختلفة الأطرزة . هذا بناء شاخ كأنه الجبل ، وذلك منزل متظام كأنه الكوخ ، وهنا بيت قد شيد طبقات متوالية لفرض تجارى ، وآخر قد بنى لتحقيق هوى خاص فى نفس صاحبه . وهذا الاختلاف ينفد المدينة شخصيتها ويحولها مجموعة غير متناسقة من المساكن قد ضربت الفوضى على أزيائها البنائية فهى بلا جمال وبلا نظام .

ونستطيع أن نلعل كثيرا من هذه الفوضى فى البناء بأننا نحن الأفراد لا نحس الروح

الاجتماعى أو الوطنية المدنية، فليست فينا تلك العاطفة التي بعثت ذلك الاسكوتلاندى على أن يرصد هذا المبلغ الضخم لمكافأة من يخدمون مدينته . بل ليست عندنا تلك العاطفة التي لا تكلفنا مالا ولكنها تكلفنا عناية وحرصا على صيانة المدينة وجمالها .

لقد يبلغ الإهمال بنا أن نجد في شوارعنا نفاية القصب والخس وقشر البرتقال والموز وقصاصات الورق . ومع أن لدينا القانون الذى يمنع هذا الإهمال فإن الجمهور لا يعنى بصيانة المدينة ، ولذلك يشق على رجال البوليس أن يقوموا وحدهم بها . ولعل القراء يعجبون إذا علموا أن إلقاء ورقة الترام فى الشارع يعد " مخالفة " فى كثير من المدن الأوربية . وأنه من مدة قريبة اقترحت إحدى الصحف أن الذى يلقى ورقة الترام فى الشارع عليه التقاطها وذلك غيرة منها على صيانة المدينة .

ثم هناك متزهاتنا العامة التي لا تلقى من الجمهور الرعاية التي تستحق . فكم من زائر لهذه الحدائق لا يتورع عن قطع زهرة يزين بها صدره أو يتشممها ويداعبها بيده مع أنها ملك عام للجمهور لا يجوز لواحد منه أن ينفرد بها . ومن المناظر المألوفة فى الحدائق الأوربية أن يجد المتزهد لوحة قد كتب عليها " إن صيانة هذه الحديقة ، وكولة الى الجمهور " فليس لها حارس سوى أفراد الجمهور الذين يعرفون واجبهم وتاديب المخالفين .

ومما كثرت الملاحظة له من مظاهراتنا سواء أكانت للتعبير عن الفرح أم الغضب تنهت بتخطيط أعمدة المصابيح وأشجار الشوارع كأن المدينة ليست مدينتنا وكأننا نجح أن نراها محطة مهدمة . وقليل من التفكير بين لنا خطأ هذا السلوك الذى يجب أن تستفيض بيننا النصيحة بشانه حتى يحس الجمهور واجباته نحو مدينته ويكون على الدوام يقظا مستعدا للدفاع عنها .

إن بيوتنا لن تستكمل الجمال والنظافة والصحة ما لم يكن ما يحيط بها من المنازل على مستواها فى هذه الأشياء . ولذلك يجب أن تدعونا حتى أنانيتنا إلى أن نطلب نظافة المنزل بنظافة المدينة ، وجمال واجهته بجمال الشارع ، وصحة سكانه بالصحة العامة فى المدينة . وإذا كان فى استطاع من يقيم قصرا فى حقل ألا يبالى هذا الحقل فإن هذا ليس مستطاعا لسكان المدينة إذ هو يمرض بأمراضها ويصبح بصحتها . وهو يلبس بجمالها وقبحها ويستمتع بنظافتها ويتأذى بقذارتها . ولذلك يجب علينا جميعا أن نسعى لترقية المدينة التي نعيش فيها وأن نقرن إلى مجهود الحكومة بمجهود الفرد ، وبهذا وحده ترق مدنتنا ويعود كل فرد منا حارسا على هذا الرق وراعيا له بل هو عندئذ يتكرفه ويبذل ماله ويرصد له الأوقاف ويفخر بإنشاء المؤسسات التي تزيد شأن المدينة فى الخدمة العامة .

وعاصمة بلادنا — القاهرة — ليست فقط أكبر مدينة فى مصر ، بل هى أكبر مدينة فى أفريقيا وعسى أن يكون فى استطاعتنا أن نقول إنها أيضا أجمل مدينة فى هذه القارة .